﴿وَدّوا لَو تُدْهِن فَيُدْهِنُون﴾

الحمد لله مثبت عباده على الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على محمد الصادق الكريم، وعلى آله وصحبه ومن سار على الهدي القويم، أما بعد :

فقد قال الله تعالى: (فلا تطع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون) [القلم: 8-9]
قال شيخ المفسرين الطبري رحمه الله: **ود هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجاباتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم فيلينون لك في عبادتك إلهك** كما قال جل ثناؤه: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) . **وإنما هو مأخوذ من الدهن شبه التليين في القول بتليين الدهن** . أهـ

وجاء في السير: أن قريشاً ساروا إلى أبي طالب فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا له . ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه .. قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث: أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قالوا له فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق قال: فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته**) [1]. قال: ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي قال: فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

---

(1) هذه القصة مشهورة ومعروفة في السيرة ومع ذلك فقد تكلم على اسنادها بعض العلماء وقد ثبتت بلفظ : (والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بُعثت به، من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار) كما عند الطبراني وغيره.

اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا. أهـ [أنظر السيرة لابن هشام 101/2]

وجاء في السير أيضاً: قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه **وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها** فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقال: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب **وإنك أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها**.

قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع . قال: **يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له.**

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال: نعم قال: فاسمع مني قال: أفعل.

فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك. أهـ [أنظر السيرة لابن هشام 130/2]

هذه هي المواقف العظام، من سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وكذلك هي مواقف ورثته أئمة الإسلام، فكما ورثوا عنه العلم [2] ورثوا عنه الثبات والإقدام .

فثباتهم كثبات الجبال الشامخات الراسخات بلا مبالغة أو تطنيب .. لا يتزحزحون ولا يتأرجحون للترغيب أو الترهيب، ولا يتراجعون القهقرى للتغييب أو التغريب[3].. كلماتهم لا تكتب بماء الذهب بل بماء العيون، ومقامهم على هام الرأس بل في الجفون .. حبهم في الله واجب، والاقتداء بصالح أعمالهم لا يحجبه حاجب.

لهـــم المهابـــة والجلالـــة والنهـــى ... وفضـــائل جلـــت عـــن الإحصـــاء
ومـــداد مـــا تجـــري بـــه أقلامهـــم ... أزكـــى وأفضـــل مـــن دم الشـــهداء[4]

وهاهو قلمي القزم أمام هؤلاء العمالقة، يخط بعض مواقفهم لإتحاف خيرة الرفقة, ليجتهد كل واحد منهم ويجد، ليطال قمم المعالي والمجد :

دَبَبْـتُ للمجـد والسـاعون قـد بَلَغـوا ... جهـدَ النفـوس وألقـوْا دونـه الأُزْرا
وكابـدوا المجـد حـتى مـلَّ أكثـرُهم ... وعَـانَقَ المجـد مَـن أوفى ومَـن صَـبَرَا
لا تحسـب المجـد تمـراً أنـت آكلـه ... لـن تبلـغ المجـد حـتى تلعـق الصـبرا [5]

(2) عن أبي الدرداء–رضي الله عنه–قال: سمعت رسول الله–صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– يقول : (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، **وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنهم ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)** أخرجه أحمد في (مسنده) (196/5)، وصححه أحمد شاكر .

(3) " التغييب " : أي التغييب في السجون، أو التغييب الإعلامي . و" التغريب " : أي النفي عن البلاد والوطن .

(4) من شعر أبي بكر بن دريد [جامع بيان العلم وفضله 151/1/رقم:155] وانظر: بعض الآثار التي لها علاقة بالموضوع في (جامع بيان العلم وفضله) (150/1/رقم:154/153) تحت عنوان: (تفضيل العلماء على الشهداء).

(5) انظر: (إنباه الرواة على أنباه النحاة) (362/3).

وقد تحيرت في التخير من هاتيك المواقف المعاصرة، فدبجتها ودمجتها وأخرجت منها العصارة، فإذا بها تبهرني عدداً وكثرة !

تكـاثرت الظبـاءُ علـى خـراش فمـا يـدري خـراش مـا يصـيدُ !

فأخرت المواقف التي ليس للمرء فيها إلا أن يصبر [(6)]، وقدمت ما كان للمرء فيها أن يصبر أو لا يصبر، من جنس موقف يوسف عليه السلام لما لبث في السجن بضع سنين فأتاه حكم الإفراج: (وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم) [يوسف: 50]، فاخترت منها أربعة مواقف، تهدي السالك وتستنهض الواقف :

الموقف الأول [(7)]: موقف الشيخ الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

لما أزمع طواغيت مصر وفراعنتها على إعدام سيد قطب رحمه الله شنقاً وعزموا على ذلك، أعطوه فرصة أخيره مراعاة للرأي العام ولعله يبدل أو يغير ! فأرسلوا له من يراوده لكي يعتذر للطاغوت، مقابل تخفيف العقوبة عليه، وإخراجه منها بتقرير طبي، فأجابهم بحروفٍ من نور، تشع على مر الدهور، قائلاً: "**إن اصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية لتأبى أن تنحني وتكتب اعتذاراً لطاغية**".أهـ

الموقف الثاني: موقف شيخنا الدكتور سعيد بن زعير فك الله أسره :

كان صداعاً بالحق قوالاً به، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، حتى ضاق ذرعاً بطواغيت آل سعود في جزيرة العرب، فأودعوه في الزنازن، وأوكلوا الأمر إليه؛ بأن طلبوا منه الاعتذار عما بدر منه، متى ما فعل ذلك فسوف يُخرج من السجن ويُطلق سراحه، وأخذوا يراودونه على ذلك: اليوم بعد اليوم، والأسبوع بعد الأسبوع، والشهر بعد الشهر، والسنة بعد السنة .. حتى أمضى عقداً من الزمان في زنازنهم ولم يعتذر فأطلق سراحه .. ولما أشاد تلامذته بوقفه هذا بعد هذه السنين، أجابهم بقوله: " **إنني جلست في غرفة وصبرت عليها، وهذا**

(6) كالتعذيب بأنواعه من سلخ وقطع وحرق وصعق ... إلخ

(7) ترتيب المواقف حسب التسلسل الزمني .

ليس بموقف، هذه سلبية، والأمة لا يعزها سلبيون مثلي، إنما يعزها الرجال أمثال أسامة " . أهـ

الموقف الثالث: موقف شيخنا المفضال أبي محمد المقدسي حفظه الله :

لقد حاص وباص طواغيت الحكم ويأسوا من تراجع شيخنا المقدسي بالتعذيب والتقييد، والترهيب والرغيب، ففكر أحدهم وقدر، فقتل كيف قدر ؛ حتى أرسل إليه من يعرض عليه الأموال لكي يتعاون معهم ! فأجابه شيخنا بعزة العلماء: لا أتعاون معكم إلا أن تقدروا على إعطائي أجرا واحدا ؛ لا أرضى بأقل منه ، فقالوا: وما هو ؟ فقال: **جنة عرضها السماوات والأرض !!** " . أهـ (فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) [البقرة: 258]

الموقف الرابع: موقف الشيخ الحافظ سليمان العلوان فك الله أسره :

بعدما لبث الشيخ سليمان في سجون الطواغيت أعوام، جاءه أحد طواغيت آل سعود فمناه بالخروج من السجن ووعده به، وقال له: ولكن بشرط واحد ؛ أن تخرج على التلفاز فتطعن في أسامة بن لادن . أهـ فأجابه الشيخ قاطعاً عليه الطريق من أوله: " **لو مكثت في السجن طوال حياتي ما خرجت على التلفاز لأقول الحق، فكيف أخرج لأقول الباطل ؟!** " . أهـ

هذه هي المواقف الأربعة، لأهل الأنفة والرفعة، سطرتها باختصار واقتصار واعتصار، ليقف عليها الأطهار الأبرار الأخيار ..

فلو شهدت عيناك من ذاك منظراً ... تقر به أو أسعد القلب منظرُ
فهل سمع التاريخُ عن مثل صحبنا ... وهل أبصرت عيناه أو سوف تبصرُ؟!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتب: أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري
1430هـ – 2009م

ألا يـــا رب ثبتـــني ليُـــذكى   مـــع الطـــاغي وناصـــره العـــداء
وخـــاتمتي فأحســـنها فـــإني   مـــن الطـــاغوت يـــا ربي بـــراء

منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.net
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com
http://www.mtj.tw